المقدمـــة

الحمد لله الكبير المتعال ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى المختار ، وعلى آله وصحابته الأبرار الأخيار ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم التناد ، وبعد :

فإن طبيعة تكوين الإنسان على اختلاف جوانبه النفسية والفكرية والبدنية ، وعلى تعدد مراحل نموه وترعرعه ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما يكتنفه من عوامل التكوين والتحوير ، والإنسان ينفرد من بين المخلوقات بهذه الخاصية التي تمثل القابلية العقلية والنفسية للتأثر والتأثير .

وتكاد تجمع الدراسات الاجتماعية والتربوية والنفسية على أن أخصب مراحل عمر الإنسان وأكثرها قابلية للتربية والتكوين والتحوير هي مرحلة الطفولة والصبا ، وهي أطول طفولة من حيث الزمن من بين سائر المخلوقات المتدرجة في سلم الحياة .

ولئن كان الطفل منذ سن التمييز تبدأ لديه القابلية للتعلم والتأمل والمحاكاة فإن الأبوين يضطلعان بالدور الأكبر والأساس في هذا المضمار الحيوي الذي تبقى آثاره أمداً طويلاً من عمر الإنسان ، ويفوق دورهما الأدوار الأخرى التي تناط بالمدرسة والمجتمع والبيئة كمّاً ونوعاً وعمقاً ، مرات عديدة .

ويمكن تلخيص (**أهمية مسئولية الآباء تجاه الأولاد**) على ضوء الحديث النبوي الشريف الذي تؤسس عليه الدراسات التربوية والفقهية المتعلقة بهذا الموضوع وهو قوله ﷺ : «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**»[1] .

ويتبين ذلك من خلال الفقرات الآتية :

١ - أن الأبوين يقومان بالدورالأول والأساس في (تشكيل) شخصية الطفل ،

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب التفسير (٤٧٧٥) ، ومسلم في كتاب القدر (٢٦٥٨) .

و(تكوين) أنماط سلوكه وفكره وتوجهه ، إذ يعتمدان على الأسلوب المباشر والمتكرر ، ويقضي الولد معهما أطول زمن ولا سيما في مرحلة النشأة المبكرة ، كما أنهما يفعلان ذلك طبعاً وسجية لا تكلفاً ومهنة ، وعليه فإن تأثيرهما التربوي إيجاباً أو سلباً أعمق وأثرهما أبقى .

٢ - تلقى الولد من أبويه أسرع وأغزر لما بينه وبينهما من وشائج الولادة والصفات الوراثية ، ولانعدام الموانع التي تمنع أو تعرقل عملية الإلقاء والتلقي ، أو عملية التأثير والتأثر ، أو التعليم والتعلم ، وأيضاً بفعل المغريات والمشجعات الكثيرة المتنوعة التي يصطنعها الأبوان لتحقيق بغيتهما التربوية في صورة أسرع وأعمق .

٣ - الجانب العقدي من تربية الأبوين أهم الجوانب التي يقومان بها في تربية الأولاد ، ويفوق ذلك الجوانب البدنية والنفسية الأخرى ؛ بل لا سبيل إلى المقارنة والمقاربة بين الجانب الديني الذي ينبثق منه فكر وسلوك الولد ، وبين الجوانب الحياتية الأخرى ، إذْ يحدد الدين مصير الإنسان الأبدي فهو ينتظم الحياة الدنيا والآخرة بينما لا تتجاوز حاجات الإنسان الأخرى الحياة الدنيا الماثلة .

٤ - دقة وعمق التأثير الذي يطبعه الوالدان في قلب الولد وعقله بحيث يشب الولد على دين أبويه لا يكاد يفترق عنهما ولا يفارق عوائدهما وموروثاتهما العقدية والفكرية قيد أنمله إلا نادراً .

٥ - تكاثر المؤثرات السلبية المعاصرة وتنوعها وتعددها مما يجابهه الطفل المسلم والشاب المسلم المعاصر على اختلاف الأصعدة :

الصعيد الإعلامي ، والتربوي ، والبيئي ، ولا سيما مع تطور وانتشار وسائل الإعلام والاتصال والمواصلات ، الأمر الذي يجعل هاتين الفئتين من المجتمع الإسلامي أعني : (الأطفال والشباب من الجنسين) هدفاً استراتيجياً للقوى المعادية على اختلاف مصادرها وتعدد ثقافاتها .

وهذا مما يستوجب مضاعفة الجهود لتنشئة الأولاد على مبادئ دينهم وثوابته ولوازمه ، ثم لتحصينهم ضد تلكم التيارات الفكرية الغازية ، ثم لإعدادهم من بعد ذلك ليقوموا بدورهم الرائد في تربية الجيل التالي ، وفي مجابهة القوى المعادية بالمثل ، وبما تستوجبه رسالة المسلم نحو نفسه وولده وإخوانه المسلمين والناس أجمعين .

وليس يقوم بهذا الواجب الجليل على الوجه المتوخى غير الأبوين المسلمين الغيورين ، قال العلامة ابن القيم : «قال بعض أهل العلم إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده ، فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً فللابن على أبيه حق» ، فكما قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا . . . ﴾[1] .

قال تعالى : ﴿ . . . قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ . . . ﴾[2] .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : علموهم وأدبوهم ، وقال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ . . . ﴾[3] .

وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ : «اعدلوا بين أولادكم»[4] .

فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ . . . ﴾[5] فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً !

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٨ .

(٢) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ٣٦ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الهبة حديث (٢٥٨٧) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الهبات حديث رقم (١٦٢٣) .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٣١ .

كما عاتب بعضهم ولده على العقوق ، فقال : يا أبت إنك عققتني صغيراً فعققتك كبيرا ! وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً !![1] .

وقال : ما أفسد الأبناء مثل غفلة الآباء وإهمالهم واستسهالهم شرر النار بين الثياب !! فأكثر الآباء يعتمدون مع أولادهم أعظم ما يعتمد العدو الشديد العداوة مع عدوه وهم لا يشعرون !! فكم من والد حرم ولده خير الدنيا والآخرة ، وعرضه لهلاك الدنيا والآخرة ، وكل هذا عواقب تفريط الآباء في حقوق الله وإضاعتهم لها ، وإعراضهم عما أوجب الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح ، حرمهم الانتفاع بأولادهم وحرم الأولاد خيرهم ونفعهم لهم وهو من عقوبة الآباء[2] .

ويقول ابن القيم -رحمه الله- : «بهذا يبرز الأخطار الكثيرة التي يتردى فيها الولد حين يهمله والداه فيتسببان في الإضرار به إضراراً بليغاً وهم لا يشعرون ، ولا سيما إهمال تعليمه أمور دينه وأخلاقه وحقوق غيره» .

هذا ولموضوع الكتاب أهمية تربوية غير ما ذكر ، سيلمسها القارئ الحصيف في ثنايا هذا الكتيب الوجيز .

- نظرات في منهج البحث :

من المعلوم لدى المصنفين والمؤلفين أن الدراسات الإسلامية على تنوعها ، ليست تستغني -كي تتسم بالأصالة- عن التوثيق العلمي وهو مظهر من مظاهر التأصيل الذي ينبغي أن تؤسس عليه الأبحاث العلمية ، ولعلي في منهج الكتاب توخيت ذلك على وجه الدقة ما وسعني فعزوت الآيات القرآنية ، وذكرت مراجع التفسير ، كما عزوت الأحاديث النبوية الشريفة إلى مصادرها المعروفة وغالباً ما أكتفي بالصحاح الستة ، ولم أذكر في كتابي هذا حديثاً ضعيفاً ولا معلولاً بل اقتصرت على الصحيح ، واكتفيت في عزو الأحاديث بذكر المصدر واسم الكتاب

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ص ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٧ .

ورقم الحديث لأن ذلك ثابت مطرد لا يختلف باختلاف الطبعات ، ثم هو أقرب إلى الاختصار ، واعتمدت في ذلك على الطبعات المشهورة المتداولة ، وأشرت إلى كتب شروح الصحاح ، كما أني لم أهمل مراجعي ومصادري الأخرى .

ولقد استغرق هذا الكتيب مني جهداً غير قليل ووقتاً كنت به ضنيناً ، والكتاب بعد هذا جهد المقل وبضاعة المكدود ، لست أزعم له الكمال ولا ينبغي أن يكون ذلك لغير كتاب الله المجيد ، فإن اطلعت أيها القارئ الكريم على ما هو حسن فخذ به واحمد الله أن هيأه لك من غير نصب ولا وصب ! ووفقك إليه وأعانك على فهمه واسأله التوفيق على العمل به ، فإن القول السديد ليس يكمل إلا بالعمل الرشيد ، وإن رأيت خطأ وزللاً فذكرني به فهو من حقي عليك ! وإني إلى الحق -إن شاء الله- رجاع ، وبه مستمسك ، ولست أستنكف عنه ولا أترددعن ترك الباطل والتبري منه إن لاح وظهر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب لا إله غيره ولا رب سواه .

وبعـد :

فلعل في هذا الجهد الكليل حافزاً للآباء إلى أن يهتموا بالأولاد وأن يقوموا بواجباتهم الشرعية تجاه فلذات الأكباد ، كي ينعم الجميع بالحياة الطيبة الهانئة في الدنيا وبالنعيم المقيم في الآخرة كما هو موعود الله تباركت أسماؤه ، حيث يقول : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وحرره في المدينة النبوية يوم الجمعة ١٤١٨/٤/١٢هـ كاتبه عبدالرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب عفا الله عنه وعامله بحلمه وفضله لا بعلمه وعدله آمين .

وصلى الله وسلم على عبده وخاتم رسله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) سورة النحل : الآية ٩٧ .